الأبعاد التربوية لموضوع الهوية.

The educational dimensions of the identity issue.

أحمد فرحات[1*]، عبد الرزاق باللموشي[2]

[1] جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي (الجزائر)، ferhat61372@gmail.com

[2] جامعة الشهيد حمه لخضر-الوادي (الجزائر) ، belamo73@hotmail.com

تاريخ الاستلام : 2019/10/20 ؛ تاريخ القبول : 2019/11/01

ملخص : تعتبر التربية بمفهومها الشامل الخلفية القوية والحاملة لموضوع الهوية من خلال ترسيخ أهم بعدين من إبعاد الهوية وهما بعد الانتماء وما يدخل فيه من عناصر دالة عليه والمتمثلة في الوطنية والاسلام والجزائرية والأمن والحقوق والواجبات، والبعد الثاني والمتمثل في الديمقراطية وما تحتويه من المشاركة والعدل والمساواة والحرية والمسؤولية، وتستطيع التربية تحقيق هذه الأبعاد بواسطة مؤسسة المدرسة من خلال المحافظة على الإرث الثقافي للمجتمع وتطهيره من الشوائب ونقله للأجيال اللاحقة.

الكلمات المفتاحية : الأبعاد التربوية ؛ موضوع الهوية.

Abstract : Education science in its comprehensive concept represents the strong and bearing on the subject of identity through the consolidation of the most important dimensions of the dimensions of identity, which are after belonging and the elements that include the function of the Algerian national and Islam and security and rights and duties, and the second dimension, which is represented in democracy and its participation, justice, equality, Education can achieve these dimensions through the school by preserving the culture of society and transferring it to subsequent generations after cleansing.

Keywords: Educational dimensions, Identity subject

* المؤلف المراسل.

1- مقدمة

ترتبط الهوية بمجموعة من العلوم التي تؤثر وتتأثر بها ومن بينها علوم التربية التي ترتبط بالهوية من خلال مؤسسة المدرسة التي تعتبر الحاضن الأكبر لها من خلال أدوارها الرئيسية كمؤسسة اجتماعية تغرس في التلاميذ المبادئ والقيم والمعتقدات، ولذلك يتبادر إلينا السؤال التالي: ما هي أدوار مؤسسة المدرسة كأهم بعد من أبعاد الهوية في في ترسيخ الهوية الوطنية الجزائرية، ولذلك سنركز في هذه المداخلة على كل العناصر المتعلقة بالمدرسة بداية بالبيئة المدرسية الى المناهج التعليمية والمقررات وغيرها.

أولا: البيئة المدرسية:

1.1- مفهوم المدرسة:

هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية، ونقل الثقافة المتطورة وتوفير الظروف المناسبة لنمو الطفل جسميا وعقليا وانفعاليا واجتماعيا، وتعلمه المزيد من المعايير والأدوار الاجتماعية في شكل منظم وتعلمه الحقوق والواجبات وضبط الانفعالات. كما تساهم المدرسة في ترسيخ الفكر وتكوين الاتجاهات حيث يتم التعامل مع المعلم كقيادة جديدة ونموذج سلوكي مثالي. فالمدرسة تعتبر الأداة الأكثر أهمية في صياغة قيم وتوجهات الدولة والمجتمع في نفوس الناشئة من خلال المنهاج وأعضاء التدريس.

2.1- دور المدرسة :

ويمكن تلخيص أهم وظائف المدرسة في:

- تبسيط ونقل التُراث المعرفي والثقافي ونحو ذلك من جيل الكبار إلى جيل الصغار، أو من المعلمين إلى الطلاب تبعاً لما يتناسب واستعداداتهم وقدراتهم المختلفة؛ فينتج عن ذلك جيلٌ متعلمٌ ومُثقف.
- التنشئة الاجتماعية من خلال استكمال ما كان قد تم البدء فيه من تربيةٍ منزلية للفرد، ثم تتولى تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعديل السلوك الخاطئ، إضافةً إلى قيامها بمهمة التنسيق والتنظيم بين مختلف المؤسسات الاجتماعية ذات الأثر التربوي في حياة الفرد .
- النمو الشخصي للتلميذ من كل الجوانب سواء كان داخل المدرسة أو داخل بيئة المجتمع الكبير.
- تعلم التلميذ عادات وقيم وأخلاق وسلوكيات المجتمع الذي يعيش فيه.
- تنمية القدرات الإبداعية لدى التلميذ من خلال تنمية فضوله المعرفي واستكشاف المجهول.
- توفير مناخ يشجع على ممارسة القيم الديمقراطية والعلاقات الإنسانية.

3.1- مفهوم البيئة المدرسية:

هي كل ما يمس المتعلم حسيا أو معنويا داخل المدرسة أو يؤثر عليه.

كما تعرف على أنها الممارسات التي يقوم بها المعلم في أثناء تفاعله مع التلاميذ داخل الصف الدراسي وما تقدمه المدرسة من خدمات نفسية واجتماعية للتلاميذ وانعكاس علاقة المدرسة بالمجتمع والأسلوب الذي تتبعه المدرسة في تعاملها مع التلاميذ.

وهي تداخل العوامل الطبيعية، البيولوجية والاجتماعية للمدرسة. وهي غير مقصورة فقط على الأبنية

والملاعب والساحات، بل تشمل العوامل البيولوجية من حيوانات ونباتات في المدرسة، والعلاقات الاجتماعية بين الإدارة والمعلمين والمتعلمين والعاملين الآخرين في المدرسة.

4.1- مكونات البيئة المدرسية :

تتكون البيئة المدرسية من:

- عناصر بشريه: تلاميذ ، معلمون، مشرفون، والإداريون...
- عناصر غير بشريه : موقع المدرسة، المباني، التجهيزات ، المعامل، المناهج، الوسائل التعليمة وغير ذلك.
- العلاقات و التفاعلات التي تنشأ بين الأفراد والجماعات داخل المدرسة وتتأثر بالمكونات البيئية الطبيعية والجغرافية والاقتصادية والسياسية.

5.1- تأثير الإدارة المدرسية:

تلعب الإدارة المدرسية الأثر البارز في سير النشاط اليومي داخل المدرسة فهي التي توفر الظروف الملائمة للسير الحسن داخل المدرسة من خلال الإرشادات والقواعد والإجراءات التي تنظم العمل المدرسي، ويمكن للإدارة المدرسية أن يكون لها تأثير سلبي على المتعلم من خلال:

- عدم وجود تعاون بين إدارة المدرسة والمعلمين وانعدام العمل بروح الفريق
- التسلط في الإدارة المدرسية ومركزيتها
- التسيب والفوضى في الإدارة المدرسية.
- عدم التطبيق الصحيح للتنظيمات الوزارية المتعلقة بالسلوك والمواظبة.

ثانيا - المنهاج المدرسي :

2.1- مفهوم المنهاج الدراسي:

هو وثيقة بيداغوجية مرجعية رسمية صادرة عن الوزارة الوصية يتم بموجبه العمل داخل المؤسسات التربوية لتنشئة وتعليم الأجيال واعدادهم للحياة.

تتضمن المناهج أساسا القيم الاجتماعية التي ينبغي أن ترسخ وتكرس لدى المتعلمين وكذى اللغة أو اللغات والآداب والعلوم التي هم بحاجة اليها، وذلك وفق انسجام تام مع المحيط الاجتماعي والثقافي للمجتمع الذي وضعت من أجله انطلاقا من:

- الفلسفة التي يتبناها المجتمع(العقيدة والمبادئ والأفكار التي تحكم مساره) بحيث تكون مرجعا لتحديد التوجهات العامة للسياسة التربوية.
- المشكلات التي يعاني منها المجتمع وكذلك تطلعاته التي يطمح اليها حتى يتمكن المتعلمون من إدراك وممارسة مبادئ المجتمع وقيمه وعاداته التي يصبحون بعد ذلك قادرين على تقبل أوضاع المجتمع الحالية والعمل على فهمها والإسهام في بنائه وتطوره.
- الخصائص النفسية وخصائص النمو في كل مرحلة من مراحل حياة المتعلم، وكذلك المشكلات المتعلقة بهذه المراحل بالاعتماد على الدراسات والأبحاث التربوية والنفسية في هذا المجال للاستفادة منها، إذ يساعد ذلك على فهم طبيعة المتعلم وقدراته واتجاهاته وميوله وحاجاته.

- ثقافة المجتمع لضمان معارف وخبرات مقبولة اجتماعيا وتجنب أخرى غير مقبولة أو مرفوضة سواء أكانت هذه المعارف والخبرات أكاديمية متخصصة أو ثقافية محلية أو عالمية.
- المعارف الأكاديمية القابلة للتعلم والتي يحتويها المنهاج وتقدم التلاميذ وفق مقاربة منهجية تمكن من تحقيق ملمح التخرج المطلوب، ويكون ذلك حسب الحقل المعرفي الذي وضع من أجله المنهاج.(طيب نايت سليمان، 2015، 22)

2.2- أسس بناء المناهج:

الأساس الفلسفي : يرتكز كل منهاج على فلسفة تربوية واضحة ومحددة تعكس في المقام الأول فلسفة المجتمع (المبادئ والقيم التي تحكم مساره، ومحل اتفاق أفراده من خلال الدستور).

*الأساس النفسي : المنهاج الجيد هو الذي يراعي الخصائص النفسية، وخصائص النمو في كل مرحلة من مراحل حياة المتعلم وكذلك المشكلات المتعلقة بهذه المراحل عند التخطيط أو البناء أو التنفيذ لأي منهاج.

* الأساس الثقافي:

إن الثقافة المحلية للمجتمع لها دور كبير في بناء أي منهاج لاحتوائها على معارف وخبرات مقبولة وتجنب اخرى غير مرغوبة أو مرفوضة سواءا كانت متخصصة أو عامة.(محمد الصالح حثروبي، 2012، 28)

*الأساس الاجتماعي :

ولها مفاهيم تؤثر في مبادئ ومراحل النمو في بناء المنهج مثل التفاعل الاجتماعي، التغير الاجتماعي ،الثقافة، المشكلات الاجتماعية.

*الأساس المعرفي:

وتعني الأسس التي تتعلق بالمادة الدراسية من حيث طبيعتها، ومصادرها ومستجداتها، وعلاقاتها بحقول المعرفة الأخرى، وتطبيقات التعلم والتعليم فيها، والتوجهات المعاصرة في تعليم المادة، وتطبيقاتها.

2.3- القيم التي تنميها المناهج الدراسية:

إن المناهج الجديدة تتحمل النصيب الوافر في مجال نقل وإدماج القيم الوطنية والإنسانية المستمدة من الاختيارات الأساسية للدولة الجزائرية، وذلك بالتكامل مع المكونات الأخرى للنظام التربوي ويمكن حصر القيم الرئيسية التي تنميها المناهج حسب المرجعية العامة في:

أ- قيم الجمهورية والديمقراطية: تنمي روح احترام القانون، واحترام الآخر والقدرة على الإصغاء واحترام سلطة الأغلبية، وحقوق الأقليات.

ب-قيم الهوية: التحكم في اللغتين الوطنيتين(العربية والأمازيغية)، وتقدير الموروث الحضاري الذي تحملانه من خلال- خاصة معرفة تاريخ الوطن وجغرافيته، والتعلق برموزه، والوعي بالانتماء، وتعزيز المعالم التاريخية والجغرافية، والأسس والقيم الأخلاقية للإسلام، وقيم التراث الثقافي والحضاري للأمة الجزائرية.

ت-القيم الاجتماعية: تنمية روح العدالة الاجتماعية والتضامن والتعاون بدعم مواقف التماسك الاجتماعي، والتحضير لخدمة المجتمع، وتنمية روح الالتزام والمبادرة، وحب العمل في الوقت نفسه.

ث-القيم الاقتصادية: تنمية حب العمل والعمل المنتج المكون للثروة واعتبار الرأس المال البشري أهم عوامل الإنتاج والسعي إلى ترقيته والاستثمار فيه بالتكوين والتدريب والتأهيل.

ج- القيم العائلية: تنمية الفكر العلمي والقدرة على الاستدلال والتفكير النقدي، والتحكم في وسائل العصرنة من جهة، ومن جهة أخرى حماية القانون الإنساني بكل أشكاله والدفاع عنه وحماية البيئة، والتفتح على الثقافات والحضارات العالمية. (محمد الصالح حثروبي، 2012، 29)

2.4- مكونات المنهج الحديث: ومن أهمها

- المقررات الدراسية
- الوسائل التعليمية
- الأنشطة الصفية واللاصفية
- المدرس والمعلم
- طرائق التدريس التقويم (ردينة عثمان الأحمد وحذام عثمان يوسف، 2005، 44)

ثالثا: علاقة المناهج المدرسية بالهوية:

3.1- المدرسة والهوية:

لا يمكن المحافظة على الهوية القومية أو التراث القومي إلا بوسيلتين الأولى هي العلم بالثقافة القومية والثانية تعليمها للأجيال، وكلتا الوظيفتين العلم بالثقافة.

ومن هنا كانت خطورة المدرسة في المجتمع، فهي التي تعد الأطفال الصغار لأن يكونوا أفرادا صالحين في مجتمعهم عن طريق تزويدهم بالثقافة القومية، وهي التي تعمل على إدماجهم في مجتمعهم عن طريق تطبيعهم بالطابع الاجتماعي لأمتهم، ولذلك كانت الوظيفة الأساسية للمدرسة في جميع المجتمعات الإنسانية هي المحافظة على التراث الثقافي للمجتمع، فالمدرسة هي التي تعلم لغة الأمة، وتاريخها وآدابها، وثقافتها، وفنونها، وعاداتها، وتقاليدها، لأبناء الأمة منذ نعومة أظفارهم، إلى أن يشبوا عن الطريق.

والمدرسة هي التي تغرس في نفوس الأطفال الصغار، حب التراث الثقافي والتمسك به، والاعتزاز به، وبهذه الطريقة يبقى للجماعة الإنسانية كيانها وتماسكها، وشخصيتها المتميزة بها عن بقية المجتمعات الإنسانية الأخرى.

ومن المعلوم أن تراثنا الثقافي الذي تقوم على أساسه علاقاتنا الإجتماعية هو عبارة عن ديننا، ولغتنا، وآدابنا، وفلسفتنا، أي هو كل ما يجعلنا نعرف أنفسنا على حقيقتها ونعرف حريتنا وانسايتنا، ونرى من أجلها الحياة جديرة بأن نحياها، وهو من أهم ما يكون شخصيتنا وينمي ثقافتنا، ويحدد معالم ذاتيتنا بين الأمم.(تركي رابح، 1990، 332)

3.2-الهوية وعلاقتها بالمناهج:

الهوية هي مجمل السمات التي تميّز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كلّ منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى.

الهوية الشخصية تعرّف شخصا بشكله واسمه وصفاته وجنسيته وعمره وتاريخ ميلاده. الهوية الجمعية(وطنية أو قومية) تدلّ على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر، تميّزهم عن مجموعات أخرى. أفراد المجموعة يتشابهون في الميزات الأساسية التي كوّنتهم كمجموعة، وربما يختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة.

إن العناصر التي يمكنها بلورة هوية جمعية هي كثيرة، أهمها اشتراك الشعب أو المجموعة في: الأرض، اللغة، التاريخ، الحضارة، الثقافة، الطموح وغيرها.

إن عدد من الهويات القومية أو الوطنية تتطور بشكل طبيعي عبر التاريخ وعدد منها نشأ بسبب أحداث أو صراعات أو تغيّرات تاريخية سرّعت في تبلور المجموعة. قسم من الهويات تبلور على أساس النقيض لهوية أخرى. هناك تيارات عصرية تنادي بنظرة حديثة إلى الهوية وتدعو إلى إلغاء الهوية الوطنية أو الهوية القومية

وتأسيسا على المقاربة الفلسفية، تعبّر الهوية عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميّزه عن غيره، كما تعبّر عن خاصية المطابقة أي مطابقة الشيء لنفسه أو لمثيله، وبالتالي فالهوية الثقافية لأي شعب هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز حضارته عن غيرها من الحضارات.

وإذا كان إجماع الباحثين حول فكرة أنه لا وجود لشعب دون هوية، فإنهم اختلفوا في الشكل الذي يحدد الهوية . وفي هذا السياق انتقد كثير من الباحثين ما أسماه بالشكل الميتافيزيقي الذي يحدد هوية الأمم والشعوب، ويقدم شخصيتها في إطار نماذج مثالية، دون الرؤية إليها كمجموعات حية تتميز باحتمالات تكشف عن ذاتها في عملية تحققها، ويطرح مقابل ذلك مقاربة سوسيولوجية ترى أن الهوية تتغذى بالتاريخ وتشكل استجابة مرنة تتحول مع تحول الأوضاع الاجتماعية والتاريخية، فتغير منها، دون أن تشكل ردّا طبيعيا، وبذلك فهي هوية نسبية تتغير مع حركة التاريخ وانعطافاته.

3.2- الثقافة والهوية:

إن العلاقة بين المجتمع والثقافة علاقة قوية ومتماسكة نظرا لأن كل مجتمع له ثقافته وكل عصر له ثقافته إذن لا توجد الثقافة في غير المجتمع، كما أنه لا يوجد مجتمع بدون الثقافة ومن ثم فكلاهما لا ينفك عن الآخر، إن الثقافة هي جزء من البيئة التي قام الإنسان بإيضاح معالمها بفكره وعمله، وهي عبارة عن مجموعة من الأنماط السلوكية المختلفة داخل المجتمع ومن شأنها إحداث التكامل في ثقافة المجتمع، فكلما كانت الثقافة أكثر تكاملا ومرونة كانت الأنماط السلوكية أكثر تعزيزا، أما إذا كانت الثقافة أكثر انغلاقا كانت مقاومتها لغيرها أكبر، فإذا أقحم عليها أي تغيير فان الثقافة قد تتأثر بشدة وقد تصل إلى حد الانهيار. (ابراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، 2007، 49)

3.3- الحلول المقترحة:

الهوية من منظور المدرسة كأحد أهم الأبعاد التربوية لها تركز على بعدين أساسين وهما بعد الانتماء وما يدخل فيه من عناصر دالة عليه والمتمثلة في الوطنية والاسلام والجزائرية والأمن والحقوق والواجبات، والبعد الثاني والمتمثل في الديمقراطية وما تحتويه من المشاركة والعدل والمساواة والحرية والمسؤولية وتحديدهما أكثر من محاولة تسويقهما عن طريق محاولات بائسة كتحية العلم صباح مساء بالمؤسسات التربوية والذي لم نستفد منه شيء إلا تهرب التلاميذ من الدخول باكرا لتجنب تلك التحية وامتهان تحية العلم لتصبح سلوكا آليا أصبح الكثيرون يقللون من احترامه وأصبح عدم انضباط التلاميذ أثناء تحية العلم ميزة يفاخرون بها أمام زملائهم وليس عيبا مخز. وهذا عايشته شخصيا لما كنت أستاذا في التعليم المتوسط.

في الحقيقة أنا اشعر بالكثير من الحزن لهذا المستوى الذي وصلنا إليه، ففي زمن يتصاعد مد العولمة سنجد أنفسنا عمّا قريب تائهين في بحر من الهويات والإنتماءات التي لن تشفع لنا أبدا ولن ترحم محاولاتنا اليائسة للتمسك بأي هوية نصادفها والتي بدورها لن تستضيفنا لوقت طويل ما لم تكن من مقومات هذا الشعب الأصيل.

إن الملاحظ لمناهج الدول الأخرى العربية نجد أنها محافظة بدرجة اكبر من بلادنا فمثلا السعودية محافظة عل الدين الإسلامي واللغة العربية الذين يعتبران أهم ركائز الهوية عند العرب والمسلمين، حيث تجد تصريحات مسؤوليهم باللغة العربية الفصحى الواضحة وجميع وسائل الإعلام عندهم يمجدون العربية ويعطونها حقها، وحتى تغيير المناهج عندهم، يتأثر لا محال بالنظريات الغربية لكن دون المساس بالثوابت. كي لا يحدث ذوبان لأمتنا الإسلامية العربية الجزائرية.

بالفعل بات من الضروري البحث المتأني في منظومتنا التربوية والبحث عن رأس الداء و إيجاد الدواء الشافي فحسب رأي كثير من المعلمين أن ما يقدم لأبنائنا من تعليم هو مجرد طلاسم يجب إعادة النظر فيها، ونحن كأساتذة ومسيرين نتحمل جزءا غير يسير من هذه المشكلة ونحن ننفذ وكأن الأمر عاد وطبيعي.

الخلاصة:

مؤسسة المدرسة كممثل تطبيقي للتربية هي البعد التربوي الرئيسي الذي يرتبط بالهوية بشكل عام والهوية الوطنية الجزائرية بشكل خاص من خلال أدوات المدرسة وأهمها المناهج التعليمية التي شهدت عدة تعديلات كان لها الأثر الايجابي أحيانا والسلبي أحيانا أخرى، ويبقى دور المعلم كمطبق لهذا البرنامج مهما جدا في غرس الهوية الوطنية من خلال سلوكاته ومعاملاته ولباسه ومعتقداته التي يتأثر بها التلاميذ على اعتبار أنه هو القدوة والنموذج لكل تلميذ داخل الفصول المدرسية.

- **الإحالات والمراجع :**

تركي رابح(1990). أصول التربية والتعليم، ط2،الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
طيب نايت سليمان(2015). المقاربة بالكفاءات– أمثلة عملية، تيزي وزو، الجزائر: دار الأما.
محمد الصالح حثروبي(2012). الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.
محمد مسلم(2007). مقدمة في علم النفس الاجتماعي، الجزائر: دار قرطبة.
ابراهيم بن عبد العزيز الدعيلج (2007). التربية، القاهرة: دار القاهرة.
ردينة عثمان الأحمد وحذام عثمان يوسف(2005). طرائق التدريس،عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.